عرابى الفلاح

حديث شيخ معمر من قرية عرابى باشا

للأستاذ محمود الشرقاوى

سيظل اسم عرابى باقياً مذكوراً فى التاريخ المصرى الحديث ما بقى فى مصر شعور بالقومية المصرية . وستظل الحركة العرابية أو « هوجة عرابى » باقية مذكورة فى ضمير الشعب المصرى حية على لسان أفراده وفى قلوبهم حتى تتمكن لمصر الحياة الحرة وحتى تتمكن للشعب المصرى « الفلاح » السيادة التى جاهد عرابى لها ولقى فى سبيلها ما لقى وما يلقى المجاهدون الأحرار

ومهما تكن نتائج الثورة العرابية . ومهما يكتب المؤرخون عن أخطائها فستظل ويظل اسم عرابى معها مذكوراً فى ضمير الأمة المصرية كأول حركة قومية خالصة ، وأول « تنبيه » للشعور بالقومية المصرية فى العصر الحديث ، وأول هبة لتحقيق السيادة المصرية للدم المصرى

وقد عرف الكاتبون وكتب المؤرخون البحوث والتحقيقات عن عرابى البطل وعن ثورته . ولكنى عرفت بمصادفة موفقة حديثاً عن العظمة النفسية التى كان يتميز بها عرابى ؛ وعن الشعور الراسخ بالعزة الذاتية التى كان يحسها لمجرد أنه مصرى وفلاح

وقد بلغ شخص عرابى من الرفعة والمجد ما بلغ ، وارتفع اسمه وعلا إلى حيث ارتفع ، ولكن هذا كله لا يغير من نفسه ولا من شعوره بالفخار أنه مصرى وفلاح ، وبيننا إلى اليوم من لم يبلغ شيئاً ولا ارتفع اسمه شيئاً ولكنه يعلو بنفسه أن يكون فلاحاً وهو من طينه ومن ترابه

بل لقد جعل عرابى نسب فخره أنه فلاح نحدر من أصلاب فلاح ونشأ مثلهم ومعهم بين الماء والطين

وحديث هذه الواقعة هو ما سأكتبه لقراء « الرسالة » كما سمعته

* * *

منذ أيام عشرة قبض الله إليه شيخاً معمراً فى قرية « هريّة رزنة » قرية عرابى باشا فى جوار الزقازيق وقد جاوز المائة

وهذا المعمر هو الشيخ على نجم معلم القرية ، وكان فيها صاحب « كتّاب » تعلم فيه وحفظ القرآن أبناء هذه القرية وما جاورها جيلاً بعد جيل ، وكان أبوه من قبله معلماً صاحب « كتّاب »

وقد قدر لى أن أجلس إلى هذا الشيخ المعمّر قبل أن يقبضه الله إليه ، وأن يحدثنى عن نبئت قريتهم عرابى وأنه كان يتعلم القراءة ويحفظ القرآن فى كتاب أبيه ، وكان « عرابى » يصغره سناً وإدراكا ويتخلف عنه فى الحفظ . فكان الشيخ محدثى — رحمه الله — « عريفاً » عليه كما يقولون فى لغة كتاب القرية

وبقيت العلائق بين « العريف » المعلم الشيخ على نجم وبين أحمد عرابى حتى انتهى لما يبلغ من مجد ومن مكان ، وكان من خاتمة الثورة العرابية ما عرفنا ونقل عرابى باشا إلى جزيرة سيلان ثم أعيد بعد عشرين سنة فيها

قال الشيخ المعمر رحمه الله :

وقصدت ومعى زميل من شيوخ القرية نهبط مصر لنرى عرابى باشا بعد رجوعه من المنفى ، وكان يوم جمعة وحلّ علينا وقت صلاتها قريباً من عابدين ، فدخلنا مسجداً نصلى فإذا بنا ونحن خروج ننتعل أحذيتنا على باب المسجد نرى عربة تقف أمامه وقد صعد إليها رجل كبير ضخم عرفته ، فقلت لصاحبى الشيخ : أليس هذا عرابى باشا ؟ لقد تغير كثيراً ، وكأنه لم يعد يُبصر . فقال صاحبى بعد صمت : ألا ترى من الخير لنا أن نعود وألا نذهب إلى بيت عرابى ، فإنى لا أستطيع أن أراه هكذا فى ختام أيامه كسيراً مخذولاً مهيضاً

وهل تظن أنه يعرفنا بعد كل هذه السنين وهذه الأحداث وهذه الغربة ؟ وإننا نخجل أنفسنا حين نعرض عليه أو يستأذن لنا منه فلا يذكر أشخاصنا بأسمائنا . فهلم بنا نعود . قال محدثى ولكنى عارضت صاحبى وشجعته وقلت له لقد جئنا إلى القاهرة لنزور عرابى ولا بد إن شاء الله أن نزوره . وقصدنا إلى بيته فى شارع خيرت بعد صلاة الجمعة بساعات

فلما قدمنا منزل عرابى باشا استقبلنا على بابه بعض الخدم والعبيد واستقبلنا واحد من أبنائه وهو لا يعرفنا . فلما عرفناه أنفسنا قال إن الباشا ليس فى البيت وترك لنا أن نجلس أمام البيت على « دكة » البواب حتى يعود فيستأذن لنا عليه الخدم ، فجلسنا وقد نظر إلىّ صاحبى كأنما يذكرنى ما قال ونحن نترك